المهدي المنتظر[١]

[مقدمة]:

طالعتُ في مجلة «هدى الإسلام» الغراء في عددها التاسع من سنتها الثالثة اقتراحًا من الأستاذ الفاضل السيد حسن إبراهيم موسى يدعو فيه صاحبَ المجلة أن يلتمس مني إبانةَ رأيي في مسألتين: حديث «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[٢] وأحاديث ظهور المهدي.

ورأيتُ الفاضلَ السيد صاحب المجلة يعزز ذلك الاقتراح، ويمتح من تمادي ما ينتزعه من العذب القراح، فأسأل من الله الذي حسَّن بي ظنَّهما الإعانةَ على تحصيل ما يُقنعهما. فأما حديث: «شفاعتي لأهل الكبائر»، فإني أرجئ الجوابَ عنه إلى ما بعد.[٣] وأما الآثار المروية في مجيء المهدي، فالخوض فيها أَوْلَى. فنجعل الآخرَ ما له تعلقٌ بالآخرة، والأولَ ما تعلق بالأُولَى.

[مكانة حديث المهدي من تعاليم الإسلام]:

إن واجباتِ الدين ترجع إلى ثلاثةِ أنواع: اعتقاداتٍ وأعمالٍ وآداب. وإن التصديقَ بظهور المهدي في آخر الزمان لا ينزوي تحت تلك الأنواع؛ إذ ليس هو من

(١) لم يتسن لنا الوصول إلى معرفة عدد مجلة «هدى الإسلام» الذي نشر فيه المقال ولا تاريخه، وقد اعتمدنا في ضبط نصه على كتاب «تحقيقات وأنظار» الذي سلفت الإشارة إليه. وقد شعرنا ببعض اضطراب فيه، فقومناه حسب ما أدى إليه الفهم طلبًا لاستقامة المعنى ووضوحه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر ذلك في المقال السابق بعنوان «شفاعة محمد ﷺ».

الأمور التي يجب اعتقادُها في ضمن العقيدة الإسلامية، فسواءٌ على المسلم أن يعتقد ظهورَ المهدي أو يعتقد عدم ظهوره.

وليس العلمُ بذلك من قبيل العلم الواجبُ طلبُه على الأعيان، ولا على وجه الكفاية، بحيث إذا قام به البعضُ سقط عن الباقين؛ إذ ليس العلم بذلك راجعًا إلى الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، ولا إلى ما يتبع ذلك مما يترتب عليه تحقيقُ وصف الإيمان عند طوائف المسلمين أو عند بعضهم.

ولا هو من الأمور العملية؛ إذ ليس بعمل كما هو واضح، ولا يترتب عليه اختلافُ أحوال الأعمال الإسلامية. ولا هو من الأمور الراجعة إلى آداب الشريعة التي يجب التحلي بها والتخلي عن أضدادها، كأن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يجتنب الكبر والحسد والغيبة ونحوها.

فإذا خلا من الاندراجِ تحت واحدٍ من هذه الأنواع الثلاثة من أمور الدين، تبين أنه ليس مِمَّا يتعيَّن على المسلمين العلمُ به واعتقادُه، وتمحَّضَ لأن يكون مسألةً علمية من المسائل التي تتعلق بالمعارف الإسلامية التي يُؤْثَرُ في شأنها خبرٌ عن رسول الله ﷺ أو عن سلف علماء الأمة. فهي بمنزلة الخوض في حديث موسى والخضر،[1] أو في حديث ذي السويقتين من الحبشة الذي يخرب الكعبة حجرًا

(١) عن ابن عباس أنه «تمارى هو والحُرُّ بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خَضِر، فمر بهما أُبَيُّ بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى، الذي سأل السبيل إلى لُقِيِّه، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل، جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك؟ قال: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى، عبدُنا خَضِرٌ، فسأل موسى السبيلَ إليه، فجعل له الحوت آيةً وقيل له: إذا فقدت الحوتَ فارجِعْ فإنك ستلقاه، وكان يَتَّبِعُ أثرَ الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: أرأيتَ إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال [موسى]: ذلك ما كنا نبغي، فارتدَّا على آثارهما قصصًا، فوجدا خضرًا، فكان =

حجرًا،[١] أو في أشراط الساعة، أو نحو ذلك مما يبحث عنه علماءُ الأثر رواية ودراية؛ بمعنى أن يكون الخوض فيها خوضًا علميًّا لتوسيع المعرفة والتحقيق والتمحيص للعلوم الإسلامية لِمَنْ تفرغ لذلك، ولا يكون من متناول عامة المسلمين إذ ليسوا بمظنة السلوك في تلكم المسالك. وإنما اشتبه هذا المبحثُ على بعض الناس بالمسائل الاعتقادية لسببين:

أحدهما: أنه لما كان متعلَّقُ هذا المبحث راجعًا إلى التصديق بوقوع شيء أو عدم وقوعه، كان محلُّه الاعتقاد والعقل، وكان من الواضح أنه ليس بعمل ولا أدب، فأشبه المسائلَ الاعتقادية. ولكن شتَّان بين كونِ الشيء من مطلق المدركات بالعقل وحاصلاً اطمئنانُ القلب بوقوعه أو عدم وقوعه، وبين كونه من خصوص ما يجب اعتقادُه شرعًا لتعلقه بتقوُّم حقيقة الإيمان والإسلام أو توقُّفِهما عليه.

وبعد هذا، فالواجب التنبيهُ إلى أن هذا المعلومَ لو أن داخلاً في العقيدة الإسلامية التي يُطالَب المؤمنون بها بإثباتها، لَمَا كفى في إثباته أخبارُ الآحاد؛ لأن الاعتقاد الديني مِمَّا يُطلب فيه القطعُ واليقين، والقطع واليقين لا يحصل في مثل الأمور الاعتقادية إلا بأحد أمرين: البرهان العقلي، والخبر الشرعي القطعي، وهو ما كانت نسبتُه إلى الشرع قطعية، وهو الخبر المتواتر، مثل القرآن وأخبار الرسول المتواترة بالنسبة لعصر الصحابة، ثم كانت دلالتُه على المراد منه قطعية أيضًا، كإيجاب الصلاة وتحريم السرقة، إذ قد يكون الخبرُ مقطوعًا بصدوره من الله أو رسوله، ولكن معناه

= من شأنها الذي قص الله في كتابه». **صحيح البخاري**، «كتاب العلم»، الحديث٧٤، ص١٧-١٨. وقد أورده البخاري بألفاظ متقاربة وزيادات في: «كتاب أحاديث الأنبياء»، الحديثان ٣٤٠٠-٣٤٠١، ص٥٦٩-٥٧٠؛ «كتاب التفسير»، الأحاديث ٤٧٢٥-٤٨٢٧، ص٨١٨-٨٢٢؛ «كتاب التوحيد»، الحديث٧٤٧٨، ص١٢٨٨. وانظر كذلك **صحيح مسلم**، «كتاب الفضائل»، الحديث٢٣٨٠، ص٩٢٨-٩٣١.

(١) انظر في ذلك **صحيح البخاري**، «كتاب الحج»، الحديثان١٥٩٥-١٥٩٦، ص٢٥٩؛ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الحديث٧٠٥٣، ج١١، ص٦٢٨-٦٢٩.

ليس مقطوعًا به؛ إذ لم يكن من قبيل النصِّ بل كان من قبيل الظاهر الذي يحتمل معنيين: أحدهما راجح، أو من قبيل المجمل الذي يحتمل معنيين على السواء. وهذا كثير، تجد أمثلتَه فيما اختلف علماء الأمة في المراد منه من آيات القرآن.

وليس بين أيدينا الآن من المتواتر غيرُ القرآن، وما هو معلومٌ من الدين بالضرورة. وأما الأحاديث المتواترة، فقد قال علماؤنا: ليس في السنة متواتر، لتعذر وجود العدد الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب في جميع عصور الرواة بيننا وبين رسول الله ﷺ. وإنما أكثرُ الأحاديث رواةً لا يعدُو أن يكون من المستفيض، كما تقرر في أصول الفقه.

[مذاهب العلماء في المهدي]:

من أجل ذلك لا تجد علماءَ أصول الدين مشتغلين بهذه المسألة، إلا أنك تجد في بعض كتبهم ما يشير إليها في أثناء الكلام على مسائل الإمامة التي ألحقوها بمسائل أصول الدين، وما هي منها كما قال إمام الحرمين في الإرشاد؛[1] لأن مسائل الإمامة قد اختلفت في معظمها فرقُ المسلمين. وكان خلافُهم فيها سببًا في تفسيق بعضهم بعضًا وتكفير بعضهم بعضًا، فأشبهت الخلافَ في أصل الاعتقاد الموجب لامتشاق الحسام، والتهمة بالخروج عن دائرة الإسلام، كما فعل الحروريةُ والأزارقة في قولهم: «لا حكم إلا لله.» وإذا تقصَّيْنا أقوالَ المثبتين للمهدي وجدناها ترجع إلى مذهبين:

أحدهما -وهو الأشهر- مذهبُ الإمامية، يقول بأن المهدي الذي يخرج في آخر الزمان هو موجودٌ من قبل، وهو مختف. وهذا المذهب قد تصدَّى أصحابُنا إلى رده بما لخصه النسفي في عقيدة أهل السنة إذ قال: «ثم ينبغي أن يكون الإمام ظاهرًا، لا مختفيًا ولا منتظراً.» قال التفتازاني في شرحه: «وأنت خبير بأن اختفاء الإمام يساوي عدمَه

(١) الجويني: **كتاب الإرشاد**، ص٣٤٥. قال إمام الحرمين: «الكلام في الباب ليس من أصول الاعتقاد، والخطر على مَنْ يزل فيه يُربي على الخطر على مَنْ يجهل أصلَه.»

في عدم حصول الأغراض المطلوبة من وجود الإمام، وأن خوفه من الأعداء لا يوجب الاختفاءَ بحيث لا يوجد منه إلا الاسم. بل غايةُ الأمر أن يوجب اختفاءَ دعوى الإمامة، كما كان آباؤه الذين كانوا ظاهرين في الناس ولا يدعون الإمامة.»[١]

المذهب الثاني مذهب القائلين بخروج المهدي آخرَ الزمان، من غير دعوى أنه موجود الآن، ولا أنه مختف. وهذا قد قال به بعضُ أهل السنة وبعض الصوفية استنادًا للآثار المروية دون تمحيص، وذلك مما لصق بهم من أقوال الرافضة والإمامية حين اختلط العلم. وليس اعتقادُهم ذلك بشيء عظيم إذ رضوه لأنفسهم؛ فإن اعتقادَ مجيئه واعتقاد عدم مجيئه سواء.

فإن قال قائل: يترتب على تحقيق أمره عملٌ إسلامي، وهو وجوب اتباعه عند ظهوره. قلت: لهذه النزعة اختلف المختلفون، وهم في غفلة يعمهون. فإن سمات الإمام الذي يجب اتباعُه لا يتوسمها المتوسمون بملامح وجهه ولا باسمه واسم أبيه، ولا بخفق أعلامه ولا بأفق ظهوره، فإن جميعَ ذلك يمكن تلبيسُه وادعاؤه باطلاً، كما وقع غيرَ مرة.

إن الله بين لعلماء الأمة أحكامَ الملة بالقواعد والشروط، فأغنى عن وضع الملامح والرموز. فإمامُ العدل الذي تجب طاعتُه والدخولُ في حزبه وأنصاره، هو الذي استكمل شروطَ الإمامة والقدرة على حماية البيضة في وقت الحاجة إلى ذلك، فتجتمع على أهليته الأمةُ ويأمن الناسُ أن تصيبهم من خروجه فتنة. فإن هو كان كما شرطت الشريعةُ البيضاء النقية، فهو في غِنًى عن الأخبار الملفقة والرموز الجبرية. وإلا فخير له أن يختبئ في جحره كالخنفساء في الشتاء، وأن يستزيد على ما أحضر له من عسل وماء، فلا يزال عاكفًا على مزج واحتساء إلى أن يفعل الله به ما يشاء.[٢]

---

(١) التفتازاني، سعدالدين: **شرح العقائد النسفية**، تحقيق أحمد حجازي السقا (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨/ ١٩٨٨)، ص٩٨.

(٢) أشرت بهذا إلى الصورة التي يتخيلها القائلون باختفاء المهدي المنتظر، وسيأتي ذكرُها في شعر إسماعيل الحميري. - المصنف.

كيف نشأ القول بالمهدي المنتظر؟

نبتت قصةُ المهدي من عصف هشيم قصة الإمام المنتظر عند الشيعة، وأصلُ ذلك كله أن شيعة الهاشميين لَـمَّا أخفقوا في دعوتهم بعد تنازل سيدنا الحسن ثم بعد مقتل سيدنا الحسين رضي الله عنهما، وبعد استتباب الأمر لبني أمية، وعلموا أن قوةَ العرب أصبحت مع بني أمية لأسباب جمة ليس هذا محلَّ بسطها، وأيِسُوا من نَوَال المقصود بالعصبية العربية، تفرقوا في البلاد على حنقٍ وغيظ، ودبروا لنجاح دعوتهم بالسعي إليها من ناحية التأثير الديني وبالسعي إلى تكوين عصبية عجمية.

وقد علموا أن المسلمين كلَّهم من عرب وعجم لم يزالوا بإيمان صحيح وتعلق بدينهم، وشأنُ أهل الدعوات السياسية أن يتوسَّلوا لترويج أعمالهم بين العامة بالوسائل الاعتقادية لعلمهم بأن عقول العامة تقصر عن إدراك الأدلة العقلية وعن توسم عواقب الأمور، ويتوسَّلوا تلقيَهم الأشياءَ المنسوبة إلى الدين بمزيد الاعتبار من دون تأمل ولا إقامة برهان، لثقتهم بأن ما يجيء في الدين هو أمر مقطوع بصدقه، سواء اطلعنا على دليله أم لم نطلع.

فأصحابُ الدعوة يسربون دعوتَهم للعموم من مسارب الاعتقاد الديني، وإنما تظهر مقدرةُ الدعاة في تمويه دعوتهم بطلاء الأمور الدينية حتى لا يشكَّ العمومُ في أن ما يدعونهم إليه هو من الدين، ولا حظَّ فيه لنفوس طالبيه. ويعززون ذلك بما يختلقونه منسوبًا إلى أَثَارة علم الأولين المنبئة بأن عاقبةَ الظفر والنجاح تكون لهم حتى يكونوا في سعيهم على قوة أقل من النجاح،[1] فيحصل لهم اليقينُ بأنهم قد نجحوا في العاجلة والآجلة.

وقد يجمع الدعاةُ في الصيغة الواحدة بين الأمرين، فينتحلون أخبارًا معزوة للرسول ﷺ على أنها مما أخبر عنه الرسول من علم الغيب المقطوع بوقوعه،

(١) لم يتبين لنا وجهُ المراد في قوله: «حتى يكونوا في سعيهم على قوة أقل من النجاح»، وربما حصل تصحيفٌ في الكلام.

فيحصل بذلك أثران في مؤثر واحد. ومن شأنهم فيما يصنعونه من الأخبار أن يدُسُّوا فيها ذكرَ أمارات تناسب زمانَهم، أو حالَهم، أو أنسابَهم، أو مواطنَهم، أو اسمَ أحد من أئمتهم، ليتبين كونُهم المقصودَ من ذلك الخبر، فإن أعوزهم ذلك لقَّبوا بعضَ دعاتهم بألقاب تواطئ ما سبق من الأخبار.

[أنواع الآثار المروية في المهدي]:

ولقد تصفحنا أنواعَ ما يعدونه لهذا الغرض، فإذا هي ثلاثة أنواع:

النوع الأول: آثارٌ مروية يرجعونها إلى رسول الله ﷺ.

النوع الثاني: أخبارٌ غيبية يكتبونها بأيديهم، ويَعْزُونَها لِمَنْ يُنسب إليه الكشفُ أو التنبؤ بالغيب، ثم يثبتونها في العامة ويعبرون عنها بالأجفار؛ لأنها تُكتب في رق جفر - وهو الصغير من أولاد المعز.

النوع الثالث: أخبار اضطهاد فيها مبالغاتٌ أو مختلقةٌ من أصلها، من شأنها أن ترقِّقَ قلوبَ سامعيها على الجانب المضهود، علمًا بأن النفوس تميل إلى الضعيف وإن ابتدأ بالظلم، وأن النفوس تتأثر بالشيء المشاهد، ولا تلتفت إلى ما غاب عنها بتعاهد.

فإن تحققت أمانيهم من هذه الثلاثة فذاك، وإن خابت اختلقوا أخبارًا يحيون بها لأنصارهم الأملَ ويدفعون بها عنهم الفشل حتى يعود نهوضُهم بعد دهشة الانهزام، وحتى لا تنقطع آمالُهم في مستقبل الأيام. لما سُقِط في أيدي شيعة الهاشميين كما قلنا، جعلوا الأمرَ لِمَنْ بقي من أبناء أمير المؤمنين سيدنا علي ﷺ، وهو السيد محمد الملقب بابن الحنفيَّة،[1] وزعم غلاتُهم أنه لم يمت ولا يموت حتى ينصر

(١) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، من آل البيت. أمه خولة بنت جعفر الحنفية، وينسب إليها تمييزًا له عن أخويه الحسن والحسين، ويكنى أبا القاسم، حيث أذن النبي ﷺ لولد من علي بن أبي طالب أن يسمى باسمه و يكنى بكنيته. ولد في خلافة عمر بن الخطاب سنة إحدى وعشرين للهجرة، كان ورعًا، واسع العلم، ثقة. له عدة أحاديث في =

ينصر دين الله، ولأنه مختفٍ بغار في جبال رضوى، ولقبوه بالمهدي. وقد قال في ذلك شاعرُ الشيعة إسماعيل الحميري:[١]

أَلاَ إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ ... وُلاَةَ الحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ
عَلِيٌّ وَالثَّلاَثَةُ مِنْ بَنِيهِ ... هُمُ الأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيمَانٍ وحِلْمٍ[٢] ... وَسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاَءُ[٣]
وَسِبْطٌ لاَ يَذُوقُ المَوْتَ حَتَّى ... يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّوَاءُ[٤]
تَغَيَّبَ لاَ يُرَى فِينَا زَمَانًا ... بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ[٥]

= الصحيحين. شارك في معارك الجمل وصفين على الرغم من صغر سنه. تُوُفِّيَ في المدينة في المحرم سنة ٨١هـ عن عمر يناهز الستين سنة، وصلَّى عليه أبان بن عثمان بن عفان، ودفن بالبقيع.

(١) هو شاعر من شعراء العصر العباسي، اسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري. كان أبواه إباضيين، ثم صار هو شيعياً. وله ديوان شعر في فضائل علي وآله مملوء بالأوهام. - المصنف. وُلد السيد الحميري سنة ١٠٠هـ، ويُروى أنّ أبويه كانا إباضيّين. انتقل منذ صباه إلى مذهب الكيسانيّة، وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الذين يدّعون إمامة محمّد ابن الحنفية، أخي الإمامين الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب ﷺ، ثمّ انتقل إلى مذهب الإمامية على يد الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر. كان الحميري شاعرًا مطبوعًا، وظف شعره في الدعاية لآل البيت. مدح آل هاشم عامّة، ومدح الإمام عليّ بن أبي طالب وأبناءه خاصّة. قال أبو الفرج بعد أن ذكر أن السيد الحميري كان «شاعرًا متقدمًا مطبوعًا» وأنه من أكثر الناس شعرًا: «وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفرط فيه من سب أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم.» وقال عنه بشّار بن برد: «لولا أنّ هذا الرجل شُغل بمدح بني هاشم لشَغَلَنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأَتْعَبَنا»، يعني في فنون الشعر الأخرى بمنافستهم فيها. **الأغاني**، ج٣/ ٧، ص١٦٨ و١٧٣.

(٢) يعني سيدنا الحسن. - المصنف.

(٣) يعني سيدنا الحسين. - المصنف.

(٤) يعني السيد محمد ابن الحنفية. - المصنف.

(٥) رَضْوَى (بفتح الراء) جبل جهينة قرب ينبع، وهو كثير الشعاب صعب المسالك. - المصنف. الأصفهاني: **الأغاني**، ج٣/ ٧، ص١٧٨-١٧٩. ذكرها الأصفهاني في أخبار السيد الحميري وقال: «وهذه الأبيات بعينها تُروَى لكُثَيِّر عزة، ذكر ذلك ابن أبي سعيد.» هذا والبيت الأخير ليس من =

وله في استبطاء خروج المهدي المختفي أبياتٌ منها:

أَلاَ قُــلْ لِلْــوَصِيِّ فَــدَتْك نَفْــسِي أَطَلْــتَ بِــذَلِكَ الجَبَــلِ المُقَامَــا[1]

وقال جمهورُ الشيعة الإمامية: إن للسيد الحسن العسكري ولدًا اسمه محمد، وإنه اختفى صغيرًا، وإنه لا يموت، وإنه المهدي المنتظر، وإنه سيخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وفي اعتقادهم أنه لا يصلح جميعُ الناس حتى يخرج المهدي، وأنه لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً.

= ضمن المقطوعة التي أثبتها في كتابه. وقد ساق ابن قتيبة هذه الأبيات مع اختلاف في بعض ألفاظها ونسبها إلى كُثَيِّر عزة. الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة: **كتاب عيون الأخبار**، تحقيق لجنة بدار الكتب المصرية (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٩٦)، ج٢، ص١٤٤-١٤٥. وكذلك نسبها لكثيِّر الإمام أبو الحسن الأشعري: **مقالات الإسلاميين**، ص٢٢؛ والبغدادي، عبدالقاهر: **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (صيدا/ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٦/ ١٩٩٥)، ص٤١، ومن الراجح أنه في ذلك تبع للأشعري. وتابعهما ابن كثير. الدمشقي، إسماعيل بن عمر ابن كثير: **البداية والنهاية**، تحقيق عبدالله التركي (الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٤/٢٠٠٣)، ج١٢، ص٣١٣-٣١٤. وذكر ابن خلدون الأبيات دون أن ينسبها. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق درويش الجويدي (صيدا/ بيروت: المكتبة العصريّة، ١٤١٥/ ١٩٩٥)، ص١٨٥. وأثبت القصيدةَ كاملة (ثلاثة عشر بيتًا) الدكتور إحسان عباس ضمن الأبيات المنحولة لكثير. **ديوان كُثَيِّر عزَّة**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٣٩١/ ١٩٧١)، ص٥٢١. وانظر تعليقه عليها وعلى خمسة أبيات أخرى (ص٥٢٢). وأضرب عن ذكرها عدنان زكي درويش في تحقيقه لديوان كثير الصادرة طبعته سنة ١٩٩٤ عن دار صادر ببيروت.

(١) هذا البيت من مقطوعة من ثمانية أبيات ذكرها الأصفهاني في أخبار كثير عزة ونسبها للحميري، وساق بعدها الأبيات الخمسة التي ذكرها المصنف من قبل ناسبًا إياها إلى كُثَيِّر. **الأغاني**، /٩، ص٥٢٢-٥٢٣. وأورده البغدادي ضمن ستة أبيات منسوبة لكثير، **الفرق بين الفرق**، ص٤٢-٤٣. وذكرها ابن قتيبة دون نسبة، ثم قال: «وقال بعض شعراء الرافضة في محمد ابن الحنفية». **عيون الأخبار**، ج٢، ص١٤٤. كما نسب ابن كثير المقطوعة للسيد الحميري. **البداية والنهاية**، ج١٢، ص٣١٥. وهي في **ديوان السيد الحميري**، تحقيق نواف الجراح (بيروت : دار صادر، ١٩٩٩)، ص٣٧٩.

واتفق جمهورُ علماء الأنساب على أن السيد الحسن العسكري ليس له ولد.
ومن اللطائف في هذا المقام، الجارية مجرى الإفحام، ما وقع لأبي الفتح المقدسي الشافعي[1] مع أحد رؤساء الشيعة الإمامية؛ فإن الشيعي أخذ يشكو فسادَ الخلق وأن الأمر لا يصلح إلا بخروج المهدي المنتظر. فقال له المقدسي: هل لخروجه ميقات معلوم؟ قال الشيعي: نعم، له ميقات معلوم. قال المقدسي: متى يكون؟ قال الشيعي: إذا فسد الخلق كلُّهم. قال المقدسي: فلماذا تكونون سببًا في حرمان الأمة من خروجه، قد فسد جميعُ الناس إلا إياكم، فلو فسدتم واتبعتم مذهبَنا لخرج المهديُّ للناس. فلماذا لا تطلقوه من سجنه؟ فأُفْحِم الشيعي.[2]

تلقف السامعون قصةَ الإمام المنتظر، فرام كلُّ قائمٍ بدولة أن يدخل تحت مظلتها، ويجعل أخبارَها مطابقة لنزعته. فإن هو روج ذلك بين طوائف من الناس، قلب تلك المظلةَ راية، مبرزًا للناس نحلته، ومؤيدًا رأيه. وقد قلت آنفًا: إن من شأن الذين يصنعون أخبار المهدي أن يدسُّوا فيها ذكرَ أماراتٍ تناسب حالَهم، أو صفاتِهم، أو أسماءهم، أو مواطنَهم.

وربما ارتقوا إلى التصريح بأسماء بعض دعاتهم، فإن أعوزهم ذلك جعلوا للداعي لقبًا يناسب انطباقَ ما سبق من مرويِّ الأخبار إن كانت الأخبارُ سابقةً لوقت ظهورهم. فقد صنع أصحابُ الدعوة الهاشمية في خراسان حديثًا عن ابن مسعود قال: «بينما نحن جلوسٌ عند رسول الله، إذ أقبل فتيةٌ من بني هاشم، فلما رآهم رسولُ الله ذرفت عيناه وتغير لونُه. قال: فقلت: ما لنا نرى في وجهك شيئًا نكرهه؟ فقال: إنا أهلَ البيت اختار الله لنا الآخرةَ على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون

(١) هو نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي، إمام الشافعية في عصره، وصاحب التصانيف القيمة. توفِّيَ سنة ٤٩٠هـ. - المصنف.

(٢) أورد هذه الحكاية الشاطبي، ولم أجدها فيما اطلعت عليه من مصنفات ابن العربي، بما في ذلك أحكام القرآن، وقانون التأويل، والعواصم من القواصم. فانظرها في الشاطبي: **الاعتصام**، ج١، ص١٠٧.

بعدي بلاءً وتشريدًا، حتى يأتِيَ قومٌ من قبل المشرق معهم راياتٌ سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون وينصرون» إلخ.[١]

انظر إلى كلمة «تشريد» المنطبقة على المستعصين من بني هاشم بخراسان، وإلى كلمة «من المشرق»؛ فإن بلادَ فارس شرق بلاد العرب، وإلى «الرايات السود»، فإنها شعارُ أصحاب الدعوة الهاشمية المتمحضة بعد في العباسية.

وقريبٌ من هذا جميعُ الآثارِ المروية في أن المهدي من أبناء العباس، وأن الحقَّ معه، ومع أصحاب الرايات السود، ومع الخارجين من المشرق أو من بلادٍ مصرَّحٍ بأسمائها من بلدان فارس. فقد كان محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى[٢] بالمدينة يتطلع إلى الخلافة، ويُزعم أن أبا جعفر المنصور بايعه بها في مكة في آخر مدة مروان

---

(١) ولفظ الحديث بتمامه: «إنا أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرةَ على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاءً وتشريدًا وتطريدًا، حتى يأتِيَ قومٌ من قبل المشرق معهم راياتٌ سود، فيسألون الحقَّ فلا يُعطَوْنه، فيقاتلون فينصرون فيعطَوْن ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، يواطئ اسْمُه اسْمِي واسمُ أبيه اسمَ أبي، فيملك الأرضَ فيملؤها قسطًا وعدلاً كما ملؤوها جورًا وظلماً. فمن أدرك ذلك منكم أو من أعقابكم فلْيَأْتِهِمْ ولو حبوًا على الثلج؛ فإنها راياتُ هدى.» البرهان فوري، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، نشرة بعناية بكري حيَّاني وصفوة السقا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠٥/ ١٩٨٥)، «كتاب القيامة من قسم الأقوال»، الحديث٣٨٦٧٧، ج١٤، ص٢٦٧-٢٦٨.

استدراك: وأخرج الحديث ابن ماجه (٤٠٨٢)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث منكر ويشبه أن يكون موضوعاً. انظر تمام تخريجه وتنقيده «السنن» لابن ماجه: ٥/ ٢٠٩-٢١٠، طبعة الرسالة العالمية - الناشر.

(٢) هو عبدالله الكامل (٦٨/ ٦٨٧-١٤٣/ ٧٦٢) بن الحسن المثنى، تابعي من آل البيت، ومن رواة الحديث، وهو حفيد السبطين الحسن والحسين من الأب والأم. ويروى أنه كان يقول في ذلك ما معناه : ولدني رسول الله مرتين، فأبوه هو الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وأمه هي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، فهو شريف من الأب والأم.

ابن محمد الأموي،[١] وأنه هو الرضي من آل البيت. ولمَّا حج المنصور بالناس في خلافة أخيه السفاح طلب محمد بن عبدالله بن الحسن في المدينة فاختفى محمد، ثم في خلافة المنصور لم يزل محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى مختفيًا في شعاب جبل رضوى من بلاد جهينة. فمن ذلك دخل ذكر جبال رضوى في قصة المهدي المنتظر، واختلطت القصةُ من عدة حوادث.[٢]

وأيضًا نرى أبا جعفر المنصور، وقد لقب ابنه محمدًا بالمهدي، وأخذ له العهدَ بالخلافة. وساعده أنه سَمِيُّ رسول الله ﷺ، وأن أباه سَمِيُّ أبي رسول الله ﷺ؛ إذ كان من روايات حديث المهدي الرواية القائلة: «يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي»، كما سيأتي. فالمهدي العباسي أولُ مَنْ تلقب بالمهدي، وتطلع إلى أن يكون هو المعنيَّ من الأخبار المروية في شأن القائم المنتظر. وقد كان لصنيعه ذلك فائدتُه المطلوبة؛ إذ قد انقطعت عند بيعته مطامع العلويين المزاحمين للعباسيين في الخلافة من أواخر مدة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

ثم انتحل هذا اللقبَ أناسٌ من الثائرين والناجمين في الممالك والأمم، مثل المهدي الذي قام بالدعوة العبيدية في إفريقية ودبر الثورةَ على الدولة الأغلبية، ومثل المهدي ابن تومرت الذي قام بدعوة الدولة الموحدة بإفريقية، ومثل الحاكم بأمر الله الفاطمي بمصر الذي انقطع خبرُه وزعم أصحابه أنه اختفى فلا يظهر إلا في زمن مرقوب.

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك** المعروف بـ«**تاريخ الطبري**»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٨)، ج٧، ص٥١٧.

(٢) راجع في ذلك: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **كتاب الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠)، ج٣، ص٢٤٢-٢٤٤.

الآثار المروية في المهدي:

لقد كثرت الآثارُ المروية في المهدي، المتضمنةُ أنه يجيء في آخر الزمان، فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً. وربما خلا بعضُها عن ذكر وصف المهدي، ولكنه يذكر من صفاته ما يوافق الصفةَ التي ذُكرت في الأحاديث المذكورُ فيها وصفُ المهدي. وقد أسندها رواتُها إلى ثمانية عشر من الصحابة، وهم عثمان وعلي وطلحة وعبدالله بن مسعود وعائشة وأم سلمة وأم حبيبة وأبو سعيد الخدري وأنس ابن مالك وأبو هريرة وعبدالله بن عمر وأبو أيوب وحذيفة وأبو أمامة وعمران بن حصين وثوبان مولى رسول الله وقرة بن إياس وعبدالله بن الحارث بأسانيد مختلفة. ورجال تلك الأسانيد على تفاوتها قسمان:

١- قسم اختلف أئمةُ الحديث ونقد الرجال اختلافًا متكافئًا في تعديلهم وتجريحهم. وأسانيدهم هي أمثلُ أسانيد هذا الآثار، وتلك هي التي رواها الترمذي وأبو داود وابن ماجه ومجموعُها ثمانيةُ طرق سنذكرها.

٢- وقسم يأبى جمهورُ أهل النقد قبولَهم، وهم الذين انفردت بإخراج أحاديثهم في هذا الشأن المصنفاتُ المعروفة بالخلط بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، والتساهل في قبول الرواة، مثل معاجم الطبراني، ودلائل النبوة للبيهقي، وتاريخ ابن عساكر، وتاريخ الخطيب، ومستدرك الحاكم، وحلية أبي نعيم.

ونحن نقتصر هنا على أسانيد القسم الأول، فإنها أشبهُ ما رُويَ في هذا الشأن، ونترك بقيتها الكثيرة تجنبًا للتطويل. ومجموع أسانيد القسم الأول يرجع إلى ثمانية طرق:

الطريق الأول: روى الترمذي وأبو داود من طريق عاصم بن بهدلة عن زِرِّ ابن حُبيش[1] إلى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطوَّل

---

(١) هو أبو مريم زِرّ بن حُبَيش بن حباشة بن أوس الأسدي، الكوفي، تابعي جليل، أدرك الجاهلية والإسلام، ولم ير النبي ﷺ. كان فاضلاً عابدًا، ثقة ثبتًا، كثير الحديث، عالمًا بالقرآن. حدّث عن =

الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي، يواطئُ اسْمُه اسمي واسمُ أبيه اسمَ أبِي».(١)

الطريق الثاني: روى أبو داود من طريق فِطْر بن خليفة(٢) بسنده إلى علي عن رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلِئتْ جوراً».(٣)

الطريق الثالث: روى أبو داود من طريق علي بن نفيل(٤) بسنده إلى أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «المهدي [من عترتي] من ولد فاطمة».(٥)

= عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود وغيرهم، وحدّث عنه الأعمش وعاصم بن أبي النجُود وغيرهما. كان إمامًا في القراءة والعربية، أخذ القراءة عن أُبَيّ بن كعب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود ﷺ، وتصدّر للإقراء بالكوفة. توفّي بوقعة دير الجماجم سنة ٨٣هـ، وله من العمر مائة وعشرون سنة، وقيل أكثر.

(١) **سنن الترمذي**، «كتاب الفتن»، الحديث٢٢٣١، ص٥٣٦؛ **سنن أبي داود**، «كتاب المهدي»، الحديث٤٢٨٢، ص٦٧١. واللفظ لأبي داود. أما عند الترمذي فلفظه: «يلي رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» بدون عبارة: «واسم أبيه اسمَ أبي». قال عاصم: وأخبرنا أبو صالح عن أبي هريرة، قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي».

(٢) هو أبو بكر فطر بن خليفة، الكوفي المخزومي، مولى الصحابي عمرو بن حريث ﷺ. حدث عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل، وطاووس، ومجاهد، وغيرهم. وحدث عنه ابن عيينة والثوري، ويحيى بن آدم، ويحيى ابن سعيد القطان وآخرون. مات فطر بن خليفة سنة ١٥٣هـ، وقيل ١٥٥هـ. وقد تعارضت فيه الأقوال تعديلاً وتجريحًا. قال ابن عدي بعد أن ساق جملة منها: «له أحاديث صالحة عند الكوفيين يروونها عنه في فضائل علي وغيره، وهو متماسك، وأرجو أنه لا بأس به.» المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **مختصر الكامل في الضعفاء وعلل الحديث**، تحقيق أيمن عارف الدمشقي (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤٢٢/ ٢٠٠١)، ص٦٢٨. وقال الذهبي: «ثقة شيعي.» الذهبي، شمس الدين بن عثمان بن قايماز: **ديوان الضعفاء والمتروكين**، نشرة بعناية خليل الميس (بيروت: دار القلم، ط١، ١٤٠٨/ ١٩٨٨)، ج٢، ص٢٤٢.

(٣) **سنن أبي داود**، «كتاب المهدي»، الحديث٤٢٨٣، ص٦٧١-٦٧٢.

(٤) قال الذهبي: «علي بن نُفَيلٍ جدُّ النفيلي: له حديث في المهدي منكر.» **ديوان الضعفاء والمتروكين**، ج٢، ص١٧٧.

(٥) **سنن أبي داود**، «كتاب المهدي»، الحديث٤٢٨٤، ص٦٧٢.

الطريق الرابع: روى أبو داود من طريق عِمران القطان[(١)] إلى أبي سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا، يملك سبع سنين».[(٢)]

الطريق الخامس: روى الترمذي وابن ماجه من طريق زيد العمي[(٣)] إلى أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا من سنين، فيجيء إليه الرجلُ فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»،[(٤)] وفي بعض رواياته زيادة قليلة.

الطريق السادس: روى ابن ماجه من طريق ياسين العِجْلِيِّ إلى علي أن رسول الله ﷺ قال: «المهدي منا أهل البيت، يصلح الله به في ليلة».[(٥)]

---

(١) هو أبو العوام عمران بن داود، بصري. قال ابن عدي: «وهو ممن يُكتب حديثُه.» المقريزي: **مختصر الكامل**، ص٥٣٢. وقال الذهبي: «ضعفه يحيى والنسائي.» **ديوان الضعفاء والمتروكين**، ج٢، ص١٩٩.

(٢) **سنن أبي داود**، «كتاب المهدي»، الحديث٤٢٨٥، ص٦٧٢.

(٣) «قال ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة: يُضعَّف. وقال السعدي: متماسك. وقال النسائي: ضعيف. وقال ابن عدي: ولزيد أحاديث كثيرة، فبعضها يرويه عنه قومٌ ضعفاء مثل سلاَّم الطويل ومحمد ابن الفضل بن عطية وابنه عبدالرحيم وغيرهم، فيكون البلاء منهم لا منه. وهو في جملة الضعفاء يُكتب حديثُه على ضعفه، وقد حدث عنه شعبة والثوري، ولعل شعبة لم يرو عن أضعف منه.» المقريزي: **مختصر الكامل**، ص٣٤٦-٣٤٧؛ الذهبي: **ديوان الضعفاء والمتروكين**، ج١، ص٣١٢.
والعَمِّيّ بفتح العين المهملة وتشديد الميم، نسبة إلى بني العم، قبيلة تميم. قيل العم لقب لجد القبيلة الذي اختلف في اسمه، وقيل لم يكونوا من تميم ولكنهم نزلوا فيهم وقاتلوا معهم زمن عمر بن الخطاب، فقالوا لهم: إن لم تكونوا منا فأنتم بنو العم. - المصنف.

(٤) **سنن الترمذي**، «كتاب الفتن»، الحديث٢٢٣٢، ص٥٣٦؛ **سنن ابن ماجه**، «أبواب الفتن»، الحديث٤٠٨٣، ص٥٩٥. واللفظ للترمذي.

(٥) **سنن ابن ماجه**، «أبواب الفتن»، الحديث٤٠٨٥، ص٥٩٥-٥٩٦، وقد جاء فيه لفظ: «يصلحه الله في ليلة».

الطريق السابع: روى ابن ماجه من طريقٍ فيه عبدالرزاق بن همّام[١] إلى ثوبان أن رسول الله ﷺ قال: «يقتتل عند كنزكم ثلاثةٌ كلُّهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، حتى تطلع الراياتُ السود من قبل المشرق، فيقتلونهم قتلاً لم يقتله قوم»، ثم ذكر شيئًا لا أحفظه. قال: «إذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي».[٢]

الطريق الثامن: روى ابن ماجه من طريق عبدالله بن لهيعة[٣] إلى عبدالله بن الحارث الصحابي، قال رسول الله ﷺ: «يخرج ناسٌ مِنْ قبل المشرق، فيوطِّئون للمهدي».[٤]

---

(١) هو أبو بكر عبدالرزاق بن همام بن نافع، الحميري، الصنعاني، مولاهم، الحافظ الكبير، عالم اليمن. قيل ولد سنة ١٢٦هـ. ارتحل إلى الحجاز والشام والعراق، وسافر في تجارة. حدَّث عن والده همام، وعن هشام بن حسان، وعبيدالله بن عمر، وأخيه عبدالله، وعبدالملك بن جريج، ومعمر بن راشد، وحجاج بن أرطاة، وعبدالملك بن أبي سليمان، والمثنى بن الصباح، ومالك بن أنس، وعبدالرحمن الأوزاعي، وسفيان الثوري، وغيرهم. وحدث عنه شيخُه سفيان بن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وآخرون كثيرون. توفِّيَ الإمام عبدالرزاق سنة ٢١١هـ.

(٢) **سنن ابن ماجه**، «أبواب الفتن»، الحديث٤٠٨٤، ص٥٩٥. قال السندي في شرح هذا الحديث: «قوله: عند كنزكم، أي مُلككم. وقال ابن كثير: الظاهر أن المراد بالكنز المذكور كنز الكعبة.» **سنن ابن ماجه بشرح السندي**، ج٤، ص٤١٢-٤١٣.

(٣) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن لهيعة بن عقبة، الحضرمي، قاضي مصر، توفِّي سنة ١٧٤هـ. قال ابن عدي: «له من الروايات والحديث أضعاف ما ذكرت، وأحاديثه حسان، وما قد ضعفه السلف هو حسن الحديث يُكتب حديثُه. وقد حدث عنه الثقات: الثوري ومالك وعمرو بن الحارث والليث ابن سعد.» المقريزي: **مختصر الكامل**، ص٤٥٠-٤٥١. وقال الخطيب: «وكان عبدالله بن لهيعة سيئ الحفظ، واحترقت كتبه، وكان يتساهل في الأخذ، وأي كتاب جاؤوه به حدث منه، فمن هناك كثرت المناكير في حديثه.» الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت: **الكفاية في علم الرواية**، نشرة بعناية زكريا عميرات (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٧/٢٠٠٦)، ص١٤٠. وقال الذهبي: «ضعفوه، ولكن حديث ابن المبارك وابن وهب والمقري عنه أحسن وأجود، وبعض الأئمة صحح رواية هؤلاء هنه واحتج بها.» **ديوان الضعفاء والمتروكين**، ج٢، ص٥٧-٥٨.

(٤) أي يوطئون له سلطانه ويمهدونه. **سنن ابن ماجه**، «أبواب الفتن»، الحديث٤٠٨٨، ص٥٩٦.

وهذه الطرقُ كلُّها متكلَّمٌ فيها. فأما الأول ففيه عاصم بن بهدلة - المعروف بابن أبي النجود[١] - عن زِرِّ بن حُبَيش، وقد ضعَّفه من جهة ضبطه وحفظه ابنُ سعد ويعقوبُ وأبو حاتم وابن علية وابن حراش والعقيلي ويحيى القطان، وضعفه العجلي في روايته عن زِرِّ بن حُبَيش. ولذلك لم يُخَرِّج له البخاري ومسلم إلا مقرونًا بغيره. فحديثُه قيل: حسنٌ لا يبلغ مرتبةَ الصحة، وقيل: دون الحسن. وهو الظاهرُ الجاري على قاعدة الحديث الحسن، وإن كان الترمذي وسمه بالحسن والصحة.[٢] قلت: على أنه ليس فيه ذكرُ المهدي، ولكن ذكر رجل من آل البيت يلي أمرَ المسلمين.

وأما الطريقُ الثاني، ففيه فِطْر بن خليفة. وقد طعن فيه أحمد بن عبدالله بن يونس والدارقطني وابنُ عياش والجرجاني، على أنه ليس فيه ذكرُ المهدي. وأما الطريق الثالث، ففيه علي بن نُفَيل، وقد ضعفه أبو جعفر العقيلي وابن عدي في الكامل بنقل المقدسي في ذخيرة الحفاظ.[٣] وأما الطريق الرابع، ففيه عمران القطان، وقد ضعَّفه ابن معين والنسائي، وطعن فيه يزيد بن زريع وأبو زرعة.[٤]

---

(١) هو عاصم ابن أبي النجود، مقرئ الكوفة، وأحد الأئمة السبعة المشهورين. ولد في إمرة معاوية، ويعد من صغار التابعين. قرأ القرآن على أبي عبدالرحمن السلمي من كبار التابعين وأحد القراء الذين بعثهم عثمان بن عفان ﷺ إلى الأمصار ليُعَلِّموا الناسَ القرآن الكريم على المصحف الذي بعث به إليهم، كما أخذ عن التابعي الجليل زر بن حبيش الأسدي وغيرهما، وحدَّث عنه خلقٌ كثير منهم: عطاء بن أبي رباح، وأبو عمرو بن العلاء، وشعبة، والثوري، وابن عيينة. وممن أخذ عنه القراءة أبو بكر بن عياش، وحفص بن سليمان، وسليمان بن مهران الأعمش وغيرهم. انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد شيخه أبي عبدالرحمن السلمي. تُوُفِّيَ عاصم في آخر سنة ١٢٧.

(٢) فقد قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح.» **سنن الترمذي**، «كتاب الفتن»، الحديث٢٢٣١، ص٥٣٦.

(٣) المقدسي: **ذخيرة الحفاظ**، الحديث٥٧٢٣، ج٤، ص٢٤٦٩-٢٤٧٠.

(٤) **معرفة الرجال للإمام أبي زكريا يحيى بن معين**، تحقيق محمد كامل القصار (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٤٠٥/ ١٩٨٥)، ج١، ص٧٢.

وأما الطريقُ الخامس، ففيه زيد العمي، وقد ضعفه أبو حاتم والنسائي وابن عدي وابن معين وأبو زرعة.[(١)] وأما الطريق السادس، ففيه ياسين العجلي، وقد ضعفه البخاري وابن عدي، وقال: إنه يعرف بهذا الحديث: حديث المهدي.[(٢)]

وأما الطريق السابع ففيه عبدالرزاق بن همام، وقد ابتدع في آخر عمره، ولا يُحتَجُّ بغير ما هو في مسنده. وهذا الحديثُ لم يذكروا أنه في مسنَد عبدالرزاق، بل هو مما رُوِيَ عنه من غير مسنده. وأما الطريقُ الثامن ففيه عبدالله بن لهيعة، وقد ضعفه ابن معين ووكيع ويحيى القطان وابن مهدي.[(٣)]

الرأي في هذه الآثار من جهة علم الحديث:

إذا علمتَ حالَ أسانيد هذه الأخبار المروية في سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه، علمتَ أنها ليست من مرتبة الأحاديث الصحيحة، ولا هي من مرتبة الحسن؛ إذ لم تستوف شرطَ الحسن - وهو أن يكون رجال سنده سالمين من التهمة، معروفين بالضبط، مقبولي الحديث، لكنهم لم يصلوا في تمام الضبط إلى مرتبة أهل الصحيح. فتكون هذه الأحاديث من قسم الحديث الضعيف؛ لأن أسانيدها لم تَسْلَمْ من الاشتمال على راو ضعيف، وبعض رواة أسانيدها مطعونٌ فيهم.

وإن مَنْ تُكُلِّم فيه منهم وإن كانوا قد قبِلَهم بعضُ أهل النقد، فقد ردهم بعضُهم، فتعارض فيهم الجرحُ والتعديل والردُّ والقبول. وقد استقر عند علماء

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن عدي الجرجاني، أبو أحمد عبدالله: **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض وعبدالفتاح أبو سنة (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ)، ج٨، ص٥٣٨.

(٣) قال يحيى بن معين في عبدالله بن لهيعة: «ابن لهيعة ضعيفٌ في حديثه كله، لا في بعضه.» **معرفة الرجال**، ج١، ص٦٧. وقارن ما قرره المصنف بما قاله ابن الجوزي في حديث خروج المهدي، **العلل المتناهية**، ج٢، ص٨٥٥-٨٦٣.

الحديث وأصول الفقه أن الجرح إذا صدر من أهل المعرفة مقدَّمٌ على التعديل الصادر منهم، فيقدم الجرح لدى غير الطائفتين المجرحين والمعدلين، أي لدى مَنْ يعتمد على أقوال أئمة هذا العلم. وهذه القاعدةُ مسلمةٌ معمولٌ بها. (١)

ولم يزل أئمةُ العلماء، مثل مالك وأصحابه والبخاري ومسلم، يتحَرَّوْن في أخذ الحديث أن يكون [راويه] من أهل العدالة والضبط والبصر بالرجال. وقد ترجم مسلم في مقدمة صحيحه: «باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ومن يرغب عن حديثهم»، و«أن الإسناد عن رسول الله ﷺ هو من الدين، فلا يقبل فيه إلا الثقات الأثبات.»(٢) ورُوِيَ عن ابن سيرين أنه قال: «إن هذا العلم [يعني الحديث] دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.» (٣)

وروى ابنُ وهب عن مالك رحمه الله أنه قال: «أدركتُ بالمدينة أقوامًا لو استُسقيَ بِهم القطرُ لسقوا، قد سمعوا الحديثَ كثيرًا، ما حدَّثْتُ عن أحدٍ منهم شيئًا؛ لأنهم كانوا ألزموا أنفسَهم خوفَ الله والزهد. وهذا الشأن - يعني الحديث والفتيا - يحتاج إلى رجل معه تُقًى وورع، وصيانة وإتقان، وفهم وعلم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غداً.» (٤)

وروى مسلم عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: «لم نر أهلَ الخير في شيء أكذبَ منهم في الحديث»،(٥) يريد أنهم يكذبون عن توهم وغلط وحسن ظن بمن يروون لهم شيئًا لا عن عمد، إذ لو كان عن عمد لم يكونوا أهلَ الخير.

---

(١) انظر في ذلك مثلاً الخطيب البغدادي: **الكفاية في علم الرواية**، ص٩٩-١٠٠.

(٢) في الطبعة التي رجعنا إليها جاءت ترجمة هذا الباب على النحو الآتي: «باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها»، **صحيح مسلم**، المقدمة، ص١٣-١٤. وربما وردت الترجمة التي ذكرها المصنف في بعض روايات «الجامع الصحيح».

(٣) المصدر نفسه، ص١٤. وما بين الحاصرتين توضيح من محقق هذا المجموع.

(٤) الخطيب البغدادي: **الكفاية في علم الرواية**، ص١٥٥؛ اليحصبي: **ترتيب المدارك**، ج١، ص١٢٣.

(٥) **صحيح مسلم**، المقدمة، ص١٦. قال مسلم: «يقول: يجري الكذب على لسانهم، ولا يتعمدون الكذب.»

وقد قرر أئمةُ الحديث أن أسباب الوضع كثيرة: منها الافتراء والنسيان والغلط. ومنها التعمد عن حسن نية باعتقاد أن فيما يرويه حملَ الناس على فعل الخير، كما قال بعضُ الوضاعين لما قيل له: إن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كذب عليَّ متعَمِّدًا فليتبوَّأْ مقعدَه من النار»،(١) فقال: «إنما كذبتُ له لا عليه!»(٢) ويكون [الوضع] لتأييد المذاهب والآراء، وإن ستورَ التمويه والتلبيس في أحوال الرواة وأسمائهم الخلابة أصناف، منها الخصيب ومنها الشفاف.

واتفق علماء السنة على عدم قبول الحديث الضعيف فيما عدا فضائل الأعمال. واختلفوا في قبوله في خصوص فضائل الأعمال، بناءً على أن فضائلَ الأعمال داخلةٌ تحت كلياتٍ شرعية هي الشاهدةُ لقبولِها بوجه كلِّي، فلا يفيدها الحديثُ الضعيف إلا تعيينَ وقت أو عدد.

الرأي فيها من جهة النظر:

لعلَّ فيما مهدتُه أولَ هذا المقال مقنعًا لفطِنٍ لا تفوته معه الدواعي الوافرةُ التي بعثت على ظهور هذه الأخبار بين الناس، وتطايرها في الآفاق، وكثرة رواتها. وأزيد هنا ما هو أخصُّ بغرضنا، وهو أن أخبارَ المهدي لو كانت من الشهرة الصحيحة بالحال الذي نشاهد عليه أسانيدَها من عزوِّها إلى رواية ثمانية عشر من الصحابة بأسانيد مختلفة، وكانت تلك النسبةُ حقًّا وأسانيدُها مقبولة، لَمَا فات جميعُها أو بعضُها الإمامين الجليلين البخاري ومسلمًا في صحيحيهما المجعولين لرواية ما صح

(١) **صحيح البخاري**، «كتاب العلم»، الأحاديث١٠٧-١١٠، ص ٢٤؛ **صحيح مسلم**، المقدمة، «باب تغليظ الكذب على رسول الله»، الأحاديث١-٤، ص١٢.

(٢) ذكر القرطبي عن الحاكم وغيره من شيوخ المحدثين أن أحدَ الزهاد قام بوضع أحاديث في فضل القرآن وسوره حسبةً فسئل لم فعل ذلك؟ فأجاب بأنه رأى الناس زهدوا في القرآن فأحب أن يرغبهم فيه، فقيل له: «إن النبي ﷺ قال: «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»، فقال: «أنا ما كذبت عليه، إنما كذبت له!» القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الأنصاري: **التذكار في أفضل الأذكار**، تحقيق فواز أحمد زمرلي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٨/ ١٩٨٨)، ص٢٢٠.

عن رسول الله ﷺ في جميع أنحاء العلم حتى كيفية الأكل والاضطجاع؛ إذ لا يجوز أن يفوت مثلَهما في إحاطتهما وحفظهما وخبرتهما بالرجال حديثٌ بلغ من الشهرة ذلك المبلغ لو كانت شهرة صادقة.

ومن هنا نتيقن إلى مغمز لطيف، وهو أن كثرة أسانيد هذا الحديث ورواياته، مما يثير لنا ريبةً قوية في حرص مُشيعيه على رواجه بين الناس، فيكتسب بتلك الطرق المختلفة شهرةً وقوةً حتى يطمئن له عامةُ المسلمين.

وهل نظن أن رسول الله ﷺ الذي سكت عن التعرض للخلافة من بعده مع عظم أمرها وشرف منصبها في الدين ومع ما يُتوقع من الفتنة بين المسلمين عقب وفاة الرسول ﷺ، لولا أن عصم اللهُ هذه الأمةَ ببركة نبيها حتى التجأ كبراء الصحابة يوم السقيفة إلى استنباط شروط الخليفة من طريق ترسم إشارات أفعال رسول الله في حياته مثل وصايته بالأنصار ولم يوص بالمهاجرين، ومثل تقديمه أبا بكر للصلاة في مرضه، ومن طريق المصلحة العامة مثل قول أبي بكر: «إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش»،[1] أَيَتْرُكُ رسولُ الله ذلك كلَّه ويهتم ببيان قائم يقوم في أمته في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً؟

هذا حالُ أمثل الروايات في شأن المهدي، وخلاصةُ القول فيها من جهة النظر أنها مستبعدة مسترابة. وإننا لو سلمنا جدلاً بارتفاعها على رتبة الضعف، فإنا لا نستثمر منها عقيدةً لازمة ولا مأموراتٍ مندوبة، بله الجازمة.

أما بقيةُ الآثار المروية في هذا الشأن مما هو نازلٌ في الضعف عن مرتبة هذه الطرق، فما زادَتْها كثرتُها إلا اضطرابًا وتناقضًا ونَدًّا على قصد صانعيها. وهذا ملاكُ حالها، ولا حاجةَ إلى التطويل بتشخيص ذلك تفصيلاً، فمَنْ شاء فَلْيَرْجِعْ إليها في

(١) ابن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، نشرة بعناية معروف زريق (دمشق/بيروت: دار الخير، ١٤١٧/١٩٩٦)، ج٢/ ٤، ص٢٣٠. ولفظ كلام أبي بكر: «ولن تعرف العربُ هذا الأمرَ إلا لهذا الحي من قريش.»

مظانِّها. فإذا تأملها الناقدُ البصير وجد مخيلةَ التحزب والعصبية واضحةً، ووجد معظمَها يرمي إلى اليأس من نجاح أمر الأمة على أيدي خلفاء بني أمية، وأنها لا نجاحَ لها إلا بولاة من بني هاشم وأنصارهم، ثم وجد جميعَها لا يعدو خدمةَ ثلاثة أحزاب: فقسمٌ يلمِّح إلى العلويين وهو معظمُها، وقسمٌ يلوِّح إلى العباسيين، وقسم بقي مطلقًا لبني هاشم. ومن هذا القسم ما يظهر أنه قُصد منه الانتصارُ للزبيرية، والقصدُ من ذلك الحطُّ من الأمويين.

ومن العجب أنك تجد في بعض رواياتها التجاوزَ إلى تعيين المقصود الأخص من منتحليها: فبعضُها يسمي القبائل، مثل تميم وكلب وأهل الشام وأهل العراق. وبعضُها يسمي البلاد: مكة والمدينة، والشام والعراق، والكوفة والزوراء، ودمشق وبيت المقدس، وطبرية والأردن، ومصر والقسطنطينية، وكركة وخراسان، وإصطخر والمشرق. وبعضُها يسمي الأشخاصَ: السفياني، والقحطاني، والنفس الزكية، والمنصور، والسفاح، وشعيب بن صالح التميمي. وكثير منها تصرِّحُ بأن اسم المهدي محمد واسم أبيه عبدالله.

فإذا رجعت إلى ما قدمته لك في التمهيد لم يعوزك التحكمُ في شأنها، فبصرك اليوم حديد.

وهذا المبحث -على تقادم عهده وإخفاق زنده- هو من المباحث التي أرى للمسلمين الإعراضَ عن الاشتغال بها تعضيدًا أو تزييفًا، وأعجب لتفاقم الجدال في شأنها وشأنه أن يكون خفيفًا؛ إذ هي مسألة لا تفيدهم عملاً في دينهم ولا في دنياهم. فما كان لها من الأهمية لدى طوائفهم أن تكون شغلَ أولاهم وأخراهم. لكن حين عنّ فيها الجدالُ وكثر القيلُ والقال، فحقيقٌ بالعلم عندئذ إظهارُ سلطانه، ليُحِقَّ الحقَّ ويدع الباطل راسبًا في أشطانه.[1]

(١) أشطان جمع مفرده: شَطَن، والشطن حبلٌ طويل يُستقَى به من البئر أو تُشدُّ به الدابة.